أحسن الحديث

سعيد بن محمد آل ثابت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أحسن الحديث

سعيد بن محمد آل ثابت

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

كانوا أمم متناحرة على أرض جرداء، همهم بطونهم وقضاء شهواتهم، لا حضارة يشاد بها سوى ما كان من بيوت الشعر، والتي كانت في الثارات والغزل غير العذري ومعاقرة الخمور والأصنام والبغاء وسلب المسافر وظلم الضعيف تذكر فتذكر تلك الجاهلية السوداء، حتى جاء الحق بنور من السماء، فأضاء لهم تلك الغياهب ونقلهم من ضيق الدنيا لسعة الدنيا والآخرة، ودانت لهم قيصر وكسرى، وفتحوا الأرض وعمروها، ولكن بعد أن تغيرت فهومهم وازدانت تصوراتهم.

وفي هذه الورقة لعلي أشير لأعظم مكوّن لنفوس المؤمنين، وأبرز مادة انتهلوها ليتغيروا ذلكم التغير، ذلكم الكتاب العزيز "أحسن الحديث"، الذي ما من عبد رامه وجعله نصب عينيه إلا سعد في الدارين، ولعلها تكون إشارات سريعة حول أثر القرآن، وأهميته، وكيف نفيد منه، ومن ثم بعض التأملات والتدبرات، وأرجو الله الهداية والرشد والإعانة والسداد.

الموضوعات:

- تأمل واقعهم (قبل الإسلام).
- تأمل واقعهم (بعد الإسلام).
- لماذا القرآن؟
- كيف ننتفع بالقرآن؟
- الخاتمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تأمل واقعهم (قبل الإسلام):

(١) القلوب المتكبرة تخضع للقرآن:

ذكر محمد بن إسحاق، عن الزهري، في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الليل، هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق، ولا يشعر واحد منهم بالآخر. فاستمعوها إلى الصباح، فلما هجم الصبح تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء له ثم تعاهدوا ألا يعودوا، لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتتنوا بمجيئهم فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنا أن صاحبيه لا يجيئان، لما تقدم من العهود، فلما أجمعوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا، ثم تعاهدوا ألا يعودوا. فلما كانت الليلة الثالثة جاؤوا أيضا، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه في بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه[١].

فيا لله كم كان لتراتيل النبي ليلاً ما أخضع لها قلوبٌ كالحجارة! ومن ثم لا ترجو إلا أن تكون رابعهم في الاستماع، ومع ذلك لم يتركهم العناد والاستكبار!

(٢) كاد قلبي أن يطير:

جاء جبير بن مطعم يفاوض في أسرى بدر؛ لما لأبيه من مكانة عند النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أن أباه مطعم بن عدي أجار النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من الطائف، فحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الجميل فقال في أسرى بدر لو كان المطعم

[١] تفسير ابن كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حيا وكلمني فيهم لتركتهم له، فجاء ابنه جبير للنبي صلى الله عليه وسلم يفاوضه في أسرى بدر فانتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي المغرب يؤم الناس في المسجد، قال: سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقرأُ في المغربِ بالطُّورِ، فلمَّا بلغَ هذه الآية: [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ. أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ]. قال: كادَ قلبي أنْ يطيرَ. رواه البخاري.

أتى معاند بل يشفع في المشركين لكن أخذت هذه الآيات بتلابيبه لترجف به وتسقط وبال الجاهلية وتفتح قلبه لهذا النور العظيم، فكم سمعنا تلك الآيات وترددت المرات تلو المرات، ولكن ما الذي لم يجعلها تفعل ما فعلت في جبير رضي الله عنه، وتجعلنا نقول ما قال (كاد قلبي أن يطير)؟

(٣) أحسن وأعدل ما سمعت!:

عن محمد بن إسحاق قال: كان رسول الله على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب، وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفًا فقالوا له: أبا الطفيل، إنك قدمت بلادنا فهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرق جماعتنا، وأما قوله كالسحرة يفرق بين المرء وبين أبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا من أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة قال فقمت قريبًا منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: قال: فسمعت كلامًا حسنًا. قال فقلت في نفسي واثكل أمي إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا لي، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسنًا فاعرض علي أمرك، فعرض عليَّ الإسلام وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمرًا أعدل منه، وقال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا لعمري أثر وعمل هذا الكتاب المهيمن إذا تجرد السامع عن كل هوى يحول بينه وبين اتباع الحق الذي فيه.

(٤) سادات القوم يقبلون بوجه غير الذي ذهبوا به:

ولإسلامهم (سادات الأنصار) قصة ساقها ابن اسحاق قال: وحدثني عبيدالله بن المغيرة بن معيقب، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، و دار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بنى خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائط من حوائط بني ظفر، فجليا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم. وسعد بن معاذ و أسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين الذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما و انههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدم قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أُكلمه، قال فوقف عليهما متشمت : فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع: فإن رضيت أمر قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقة وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين. قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته، وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلاً، قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه لذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فو الله ما رأيت بهما بأس وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضب مبادر ، تخوف للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والله ما أراك أغنيت شيئ ، ثم خرج إليها فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمت ، ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة! والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت امر أو رغبت فيه قبلته، إن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة، جلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقة وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصل ركعتين، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، ثم تشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائد إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأي وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلم أو مسلمة.

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، إلا ما كان من الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد بأحد، ولم يصلِّ لله بسجدة قط، وأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه من أهل الجنة.

وقد روى ابن اسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه كان يقول: (حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ صلاة قط، فإذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بني عبد الأشهل).

فتأمل كيف هي الوسيلة الفريدة التي استخدمها مصعب في الدعوة. وكيف لانت لها قلوب أولئك الصحب الكرام رغم إعراضهم بادئ الرأي "فذكر بالقرآن ممن يخاف وعيد".

(٥) سمعت قولاً واللّه ما سمعت مثله قط، ليس بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة:

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي ، قال: حدثت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدا، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد، أسمع؛ قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني؛ قال: أفعل؛ فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم. [٢]

(٦) الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة:

روى الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما:أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً! قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمد تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئ من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر (يؤثر يأثره عن غيره)، فنزلت: ذرني ومن خلقت وحيد .قال الحاكم :هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٧) إنا سمعنا قرآناً عجباً:

عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ، وهو

---

[٢] سيرة ابن هشام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا - والله - الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، قالوا: يا قومنا، إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنزل الله على نبيه (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن)] الجن: ١]، وإنما أوحي إليه قول الجن. رواه البخاري ومسلم.

فيا لله كيف كان عمل القرآن في الجن الذين ما فتئوا أن يسمعوه حتى صدعوا بالحق دعاة "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ" (الأحقاف:٢٩).

تأمل واقعهم (بعد الإسلام):

(١) يخترق السهم جسده ولا يقطع تلاوته:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَافِلاً وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِىَ حَتَّى يُهَرِيقَ دَمًا فِى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم- فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- فَنَزَلَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- مَنْزِلاً فَقَالَ: « مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ ». فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالاَ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ ». قَالَ: كَانُوا نَزَلُوا إِلَى شَعْبٍ مِنَ الوادي فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الأَنْصَارِىُّ للمهاجرين: أي اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِى أَوَّلَهُ. فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِىُّ فَنَامَ وَقَامَ الأَنْصَارِىُّ يُصَلِّى وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا ، ثم رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ. فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ فَهَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِىُّ مَا بِالأَنْصَارِىِّ مِنَ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلاَ أَهْبَبْتَنِي. قَالَ: كُنْتُ فِى سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا. فَلَمَّا تَابَعَ عَلَىَّ الرَّمْىَ رَكَعْتُ فَأَرِيتُكَ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِى قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا. رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا من أعجب والله ما يسمع عمن تلذذ بالقرآن وامتزجت مهجته معه حتى قدمه على كل شيء، فلولا أن هذا الأثر جاءنا بالسناد الصحاح لما قبلته العقول، ولكن هذا عمل القرآن، فكيف استمر قائم يستلذ بالقرآن وتلاوته، والسهم تلو السهم ينفذ في جسده ويمزق ما يجد من لحم وأوردة وأنسجة وهو ينزعه، وليس سهم بل ثلاثة، ثم يقسم أنه ما أنجز صلاته إلا خوف على الثغر، لقد تحلت ألسنتهم بالتلاوة، وخالط قلوبهم حسن التدبر، فكانت الدنيا في كفة، والعيش مع القرآن مع علو الترقي به في كفة أخرى.

(٢) عمر يخر مضطرباً لقسَمٍ في القرآن:

في فضائل القرآن لأبي عبيد، قال حدثني محمد بن صالح، عن هشام بن حسان، عن الحسن، قال: " قرأ عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه "إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع" قال: فربا منها ربوة عيد منها عشرين يوما".

وفي الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا، حدثني محمد، قال حدثني أحمد بن سهل الأردني، قال حدثنا سويد بن عبدالعزيز، عن شيبان، عن الشعبي، قال: سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ: "إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع" فجعل يبكي حتى اشتد بكاؤه، ثم خر يضطرب، فقيل له في ذلك، فقال: دعوني، فإني سمعت قسم حق من ربي.

(٣) القرآن يعلو بصاحبه:

كان عامل عمر على مكة فلقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ فقال: استخلفت ابن أبزى مولى لنا، فقال عمر استخلفت مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوام ويضع به آخرين". رواه مسلم.

فها هو عمر القرشي الذي يعلم بطون مكة وأفخاذها يأخذه العجب لما سمع باسم ليس من بطون قريش أو قبيلة عريقة يُعهد إليه أمر مكة، وكيف ساد ولم يعارضوه، ولكن هذا العجب وقف لما علم بالنسب الجديد واللقب الذي لا يَهُن، وهو العلاقة مع القرآن والعلم به؛ فاختلفت مؤشرات الكرامة ورفعة المكانة عندهم عن جاهليتهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٤) عالمٌ يعرض القرآن على عالمٍ ثلاثاً:

قال مجاهد عرضت القران على ابن عباس ثلاث عرضات، وأقف عند كل آية أسأله فيما نزلت.

والناظر في هذا الأثر بعبرة وتأمل، يتساءل كيف لعالم عربي قرشي يعرض القرآن ثلاث يسأله عن كل آية، وليس هذا، ثم يتكرر هذا الأمر مرتين!

إنه ليس الجهل أو العجمة، فمن هو مجاهد؟! لكنه الالتذاذ بهذا القرآن، وحب الدنو منه، وإعادته مرة بعد مرة لا تزيد إلا اكتشاف اللآلئ واكتناز الدرر.

لماذا القرآن؟

تأمل النصوص:

لمحة سريعة في كتاب الله مرتبة حسب المصحف، وبعدها في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام تجيب عن (لماذا القرآن؟)، وهو عرض دون تفصيل وإسهاب، فيكفي الإشارة للآية، وللمتدبر أن يسبح معها بطريقته الخاصة. فإلى الآيات:

١. ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن تُطيعوا فَريقًا مِنَ الَّذينَ أوتُوا الكِتابَ يَرُدّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرينَ * وَكَيفَ تَكفُرونَ وَأَنتُم تُتلى عَلَيكُم آياتُ اللَّهِ وَفيكُم رَسولُهُ وَمَن يَعتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١]، القرآن عاصم من الفتن.

٢. ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَكُم بُرهانٌ مِن رَبِّكُم وَأَنزَلنا إِلَيكُم نورًا مُبينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، القرآن هو البرهان والنور المبين.

٣. ﴿يا أَهلَ الكِتابِ قَد جاءَكُم رَسولُنا يُبَيِّنُ لَكُم كَثيرًا مِمّا كُنتُم تُخفونَ مِنَ الكِتابِ وَيَعفو عَن كَثيرٍ قَد جاءَكُم مِنَ اللَّهِ نورٌ وَكِتابٌ مُبينٌ * يَهدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ بِإِذنِهِ وَيَهديهِم إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، القرآن هداية وخروج من الظلمات إلى النور.

٤. ﴿وَأَنزَلنا إِلَيكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ فَاحكُم بَينَهُم بِما أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهواءَهُم عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلنا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهاجًا وَلَو شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَةً وَلكِن لِيَبلُوَكُم في ما آتاكُم فَاستَبِقُوا الخَيراتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَميعًا فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فيهِ تَختَلِفونَ﴾ [المائدة: ٤٨]القرآن هو المهيمن على ما بين يديه من الكتب فما وافقه منها فهو الحق، وما خالفه فهو الباطل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥. ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيني وَبَينَكُم وَأوحِيَ إِلَيَّ هذَا القُرآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُم لَتَشهَدونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخرىٰ قُل لا أَشهَدُ قُل إِنَّما هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ وَإِنَّني بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ﴾[الأنعام: ١٩]، القرآن نذارة من الله.

٦. ﴿وَهذا كِتابٌ أَنزَلناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرىٰ وَمَن حَولَها وَالَّذينَ يُؤمِنونَ بِالآخِرَةِ يُؤمِنونَ بِهِ وَهُم عَلىٰ صَلاتِهِم يُحافِظونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]

٧. ﴿وَهذا كِتابٌ أَنزَلناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعوهُ وَاتَّقوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، القرآن مبارك.

٨. ﴿أَو تَقولوا لَو أَنّا أُنزِلَ عَلَينَا الكِتابُ لَكُنّا أَهدىٰ مِنهُم فَقَد جاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُم وَهُدًى وَرَحمَةٌ فَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنها سَنَجزِي الَّذينَ يَصدِفونَ عَن آياتِنا سوءَ العَذابِ بِما كانوا يَصدِفونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، القرآن بيّنة من الله وهدى ورحمة.

٩. ﴿كِتابٌ أُنزِلَ إِلَيكَ فَلا يَكُن في صَدرِكَ حَرَجٌ مِنهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكرىٰ لِلمُؤمِنينَ﴾ [الأعراف: ٢]، القرآن ذكرى للمؤمنين.

١٠. ﴿وَلَقَد جِئناهُم بِكِتابٍ فَصَّلناهُ عَلىٰ عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، القرآن كتاب مفصل مُبين.

١١. ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾ [يونس: ٥٧]، القرآن أعظم موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

١٢. ﴿قُل يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَنِ اهتَدىٰ فَإِنَّما يَهتَدي لِنَفسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيها وَما أَنا عَلَيكُم بِوَكيلٍ * وَاتَّبِع ما يوحىٰ إِلَيكَ وَاصبِر حَتّىٰ يَحكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيرُ الحاكِمينَ﴾ [يونس: ١٠٨-١٠٩]، من اتبع القرآن هُدي ووُقي.

١٣. ﴿فَاستَقِم كَما أُمِرتَ وَمَن تابَ مَعَكَ وَلا تَطغَوا إِنَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، الاستقامة الحق بما أُمر لا بما يرى، وأعظم ما أمر به النبي وأمته هو القرآن.

١٤. ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلينَ﴾ [يوسف: ٣]، القرآن به أحسن القصص وأصدقها وأبلغها.

١٥. ﴿وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتىٰ بَل لِلَّهِ الأَمرُ جَميعًا أَفَلَم يَيأَسِ الَّذينَ آمَنوا أَن لَو يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النّاسَ جَميعًا وَلا يَزالُ الَّذينَ كَفَروا تُصيبُهُم بِما صَنَعوا قارِعَةٌ أَو تَحُلُّ قَريبًا مِن دارِهِم حَتّىٰ يَأتِيَ وَعدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخلِفُ الميعادَ﴾ [الرعد: ٣١]، لو كان كتابا تزال به الجبال وتشقق به الأرض لكان القرآن!

١٦. ﴿إِنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ﴾ [الحجر: ٩]، القرآن محفوظ من كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطأ وزلل!

١٧. ﴿ وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [النحل: ٤٤]، القرآن للبيان، وهو خير ما يُعمل فيه الفكر والتدبر.

١٨. ﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبيرًا﴾ [الإسراء: ٩]القرآن هادي المؤمنين ومبشرهم.

١٩. ﴿وَلَقَد صَرَّفنا في هذَا القُرآنِ لِيَذَّكَّروا وَما يَزيدُهُم إِلّا نُفورًا﴾ [الإسراء: ٤١]، القرآن ذكرى.

٢٠. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]،القرآن نعمة على أهله نقمة على أعدائه.

٢١. ﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا * وَلَقَد صَرَّفنا لِلنّاسِ في هذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكثَرُ النّاسِ إِلّا كُفورًا﴾ [الإسراء: ٨٨-٨٩]، القرآن معجز في كل شيء، وبه بيان الأمور مع التنويع فيه من كل ما يُعتبر به.

٢٢. ﴿وَبِالحَقِّ أَنزَلناهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ وَما أَرسَلناكَ إِلّا مُبَشِّرًا وَنَذيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، القرآن هو الحق وبه الحق.

٢٣. ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي أَنزَلَ عَلى عَبدِهِ الكِتابَ وَلَم يَجعَل لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

٢٤. ﴿فَإِنَّما يَسَّرناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَومًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، القرآن بشارة ونذارة.

٢٥. ﴿ما أَنزَلنا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشقى * إِلّا تَذكِرَةً لِمَن يَخشى * تَنزيلًا مِمَّن خَلَقَ الأَرضَ وَالسَّماواتِ العُلى﴾ [طه: ٢-٤]، القرآن سعادة، وذكرى.

٢٦. ﴿وَكَذلِكَ أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفنا فيهِ مِنَ الوَعيدِ لَعَلَّهُم يَتَّقونَ أَو يُحدِثُ لَهُم ذِكرًا﴾ [طه: ١١٣]، القرآن قنطرة التقوى.

٢٧. ﴿لَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم كِتابًا فيهِ ذِكرُكُم أَفَلا تَعقِلونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

٢٨. ﴿وَهذا ذِكرٌ مُبارَكٌ أَنزَلناهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

٢٩. ﴿أَفَلَم يَدَّبَّروا القَولَ أَم جاءَهُم ما لَم يَأتِ آباءَهُمُ الأَوَّلينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، القرآن موقظ الغافلين.

٣٠. ﴿وَلَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم وَمَوعِظَةً لِلمُتَّقينَ﴾ [النور: ٣٤].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣١. ﴿لَقَد أَنزَلنا آيات مُبَيِّنات وَاللَّهُ يَهدي مَن يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

٣٢. ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكونَ لِلعالَمينَ نَذيرًا﴾ [الفرقان: ١]، القرآن الفرقان بين الحقائق والبطلان.

٣٣. ﴿وَلا يَأتونَكَ بِمَثَلٍ إِلّا جِئناكَ بِالحَقِّ وَأَحسَنَ تَفسيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، القرآن أحسن خطاب وأحسن بيان.

٣٤. ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ العالَمينَ * نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمينُ * عَلى قَلبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنذِرينَ * بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ * وَإِنَّهُ لَفي زُبُرِ الأَوَّلينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٦]، القرآن شريف منذ صدوره من رب العالمين حتى تلقفه جبريل الروح الأمين لينزل به على محمد الصادق الأمين، فهنا شرف القائل والناقل والمبلغ.

٣٥. ﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَقُصُّ عَلى بَني إِسرائيلَ أَكثَرَ الَّذي هُم فيهِ يَختَلِفونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾ [النمل: ٧٦-٧٧]، القرآن كاشف للانحرافات، هادٍ في الطرقات، ورحمة للمؤمنين والمؤمنات.

٣٦. ﴿اتلُ ما أوحيَ إِلَيكَ مِنَ الكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكرُ اللَّهِ أَكبَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ ما تَصنَعونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، الرسول يؤمر بتلاوة القرآن، وبُدئ بأهميته!

٣٧. ﴿أَوَلَم يَكفِهِم أَنّا أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم إِنَّ في ذلِكَ لَرَحمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، كفى بالقرآن رحمة وذكرى!

٣٨. ﴿الم * تَنزيلُ الكِتابِ لا رَيبَ فيهِ مِن رَبِّ العالَمينَ * أَم يَقولونَ افتَراهُ بَل هُوَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَومًا ما أَتاهُم مِن نَذيرٍ مِن قَبلِكَ لَعَلَّهُم يَهتَدونَ﴾ [السجدة: ١-٣]، القرآن حق لا ريب فيه ولا شك.

٣٩. ﴿وَاتَّبِع ما يوحى إِلَيكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعمَلونَ خَبيرًا﴾ [الأحزاب: ٢].

٤٠. ﴿وَاذكُرنَ ما يُتلى في بُيوتِكُنَّ مِن آياتِ اللَّهِ وَالحِكمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطيفًا خَبيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، تلاوة القرآن في البيوت أمانٌ من الهوى وأمنٌ من الشيطان.

٤١. ﴿إِنَّ الَّذينَ يَتلونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقاموا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرجونَ تِجارَةً لَن تَبورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، تلاوة القرآن تجارة لن تبور.

٤٢. ﴿وَالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ مِنَ الكِتابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبيرٌ بَصيرٌ * ثُمَّ أَورَثنَا الكِتابَ الَّذينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَمِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ بِإِذنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ﴾ [فاطر: ٣١-٣٢]، القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تشرفت به الأمة المحمدية.

٤٣. ﴿قُل هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

٤٤. ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِلعالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

٤٥. ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتابًا مُتَشابِهًا مَثانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إِلى ذِكرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدي بِهِ مَن يَشاءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، القرآن أحسن الحديث على الإطلاق.

٤٦. ﴿وَلَقَد ضَرَبنا لِلنّاسِ فِي هذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ * قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيرَ ذي عِوَجٍ لَعَلَّهُم يَتَّقونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

٤٧. ﴿وَكَذلِكَ أَوحَينا إِلَيكَ روحًا مِن أَمرِنا ما كُنتَ تَدري مَا الكِتابُ وَلَا الإِيمانُ وَلكِن جَعَلناهُ نورًا نَهدي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهدي إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، القرآن من لدن الله، نور وهداية.

٤٨. ﴿وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمنِ نُقَيِّض لَهُ شَيطانًا فَهُوَ لَهُ قَرينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، العيش مع القرآن حجابٌ عن كل شيطان.

٤٩. ﴿فَاستَمسِك بِالَّذي أوحِيَ إِلَيكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكرٌ لَكَ وَلِقَومِكَ وَسَوفَ تُسأَلونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]، الاستمساك بالقرآن هداية على الصراط المستقيم.

٥٠. ﴿فَإِنَّما يَسَّرناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، القرآن ميسر للذكرى والاعتبار.

٥١. ﴿تِلكَ آياتُ اللَّهِ نَتلوها عَلَيكَ بِالحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآياتِهِ يُؤمِنونَ﴾ [الجاثية: ٦]، ليس شيئ سوى القرآن يزيد الإيمان ويثبت الجنان.

٥٢. ﴿وَلَقَد يَسَّرنَا القُرآنَ لِلذِّكرِ فَهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، القرآن ميسر للذكر والاعتبار.

٥٣. ﴿أَلَم يَأنِ لِلَّذينَ آمَنوا أَن تَخشَعَ قُلوبُهُم لِذِكرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكونوا كَالَّذينَ أوتُوا الكِتابَ مِن قَبلُ فَطالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَقَسَت قُلوبُهُم وَكَثيرٌ مِنهُم فاسِقونَ * اعلَموا أَنَّ اللَّهَ يُحيِي الأَرضَ بَعدَ مَوتِها قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُم تَعقِلونَ﴾ [الحديد: ١٦-١٧]، القرآن مُلين للقلوب.

٥٤. ﴿كَلّا إِنَّهُ تَذكِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٤]

٥٥. ﴿عَمَّ يَتَساءَلونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظيمِ﴾ [النبأ: ١-٢]

٥٦. ﴿نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ وَما أَنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾ [ق:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٥]، فبعد هذا العرض اليسير لمكانة القرآن من خلال منزلته وأثره وصفاته لا تكاد نفس المؤمن أن تدنو لغيره، ولا تؤثر غيره عليه، ويكون يومه كله فيه وليس بكثير.

٥٧. فقد خرّج الإمام أحمد من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعا: "إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وكل تاجر من وراء تجارته، فيُعطى الملك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذّ كان أو ترتيلا" السلسة الصحيحة.

٥٨. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الماهرُ بالقرآن مع السفرةِ الكرامِ البررَةِ. والذي يقرأ القرآنَ ويتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجرانِ. وفي روايةٍ: والذي يقرأُ وهو يشتدُّ عليه له أجرانِ". رواه مسلم.

فما أعظم هذه المنزلة، صعود في الدنيا والآخرة، ولا يختص فيها ماهر وغيره فهو بركة على كل من ناله وأخذ به.

٥٩. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تعالى أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القران أهل الله وخاصته". صحيح الجامع.

٦٠. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه" رواه مسلم.

٦١. عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. رواه البخاري.

٦٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة"صحيح الجامع.

٦٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبر ليلاً. فأسرج له سراج فأخذه من قبل القبلة، وقال: "رحمك الله إن كنت لأواه تلاء للقرآن وكبر عليه أربعا".قال الترمذي: حديث حسن.

٦٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بُيُوت اللَّه تَعَالَى يَتْلُونَ كتَابَ اللَّه وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ". رواه أبو داود.

كيف ننتفع بالقرآن؟

بدايةً ﴿يهدي اللَّهُ لنوره مَن يَشاءُ﴾ [النور: ٣٥]، فالله برحمته يهدي من يشاء من عباده، قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذكِرَةٌ * فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ * وَما يَذكُرونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهلُ التَّقوى وَأَهلُ المَغفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلّا ذِكرٌ لِلعالَمينَ * لِمَن شاءَ مِنكُم أَن يَستَقيمَ * وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]، فعند التأمل نلحظ أن الله قد أسماه وعبر عنه بـ (التذكرة)، فهو ذكرى وموعظة، وللإنسان قدرة للاتباع والاستجابة ولكنها معلقة بمشيئة الله إن شاء هداه وإن شاء لم يهده، قال تعالى: ﴿إِنَّ هذه تَذكِرَةٌ فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلًا * وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَليمًا حَكيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠]، وقد هيأ الله برحمته للعبد قدرة واستجابة وخلق له مشيئة ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَو يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنّا هَدَيناهُ السَّبيلَ إِمّا شاكِرًا وَإِمّا كَفورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فكان مختار وليس مجبر، وعالم بالطريقين، قال الله: ﴿وَهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾ [البلد: ١٠]، فوجب على العبد أن يعمل ويجد ويجتهد فيما خلقه الله له، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ يومٍ جالسًا وفي يدِه عودٌ ينكُتُ به. فرفع رأسَه فقال: " ما منكم من نفسٍ إلا وقد عُلِم منزلُها من الجنة والنارِ ". قالوا: يا رسولَ اللهِ! فلمَ نعملُ؟ أفلا نتَّكِلُ؟ قال: " لا. اعملوا، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له ". ثم قرأ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى❖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى❖ إلى قوله فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [٩٢ / الليل / ٥ - ١٠]. رواه مسلم.

ثم إن هذا القرآن عظيم طاهر نقي، ومقتضى ذلك أن الذي ينتفع به من آمن بالله وأقبل إليه مهتدٍ ﴿وَلَو جَعَلناهُ قُرآنًا أَعجَميًّا لَقالوا لَولا فُصِّلَت آياتُهُ أَأَعجَميٌّ وَعَرَبِيٌّ قُل هُوَ لِلَّذينَ آمَنوا هُدًى وَشِفاءٌ﴾ وفي المقابل هو للضال الفاجر زيادة ضلالة وعمى ورجس ﴿وَالَّذينَ لا يُؤمِنونَ في آذانِهِم وَقرٌ وَهُوَ عَلَيهِم عَمًى أُولئِكَ يُنادَونَ مِن مَكانٍ بَعيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وتأمل قول الحق: ﴿وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ فَمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكُم زادَتهُ هذه إيمانًا فَأَمَّا الَّذينَ آمَنوا فَزادَتهُم إيمانًا وَهُم يَستَبشِرونَ * وَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَماتوا وَهُم كافِرونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، فلا عجب من عدم استجابة الفجار والمتكبرين ﴿ذلِكَ يوعَظُ بِهِ مَن كانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذلِكُم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَزكى لَكُم وَأَطهَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وتأمل: ﴿سَأَصرِفُ عَن آياتِيَ الَّذينَ يَتَكَبَّرونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنوا بِها وَإِن يَرَوا سَبيلَ الرُّشدِ لا يَتَّخِذوهُ سَبيلًا وَإِن يَرَوا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخِذوهُ سَبيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبوا بِآياتِنا وَكانوا عَنها غافِلينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فقد منعوا هؤلاء بركة القرآن وتأثيره لما في قلوبهم من الكبر والطغيان، وتأمل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذينَ آمَنُوا اليَهودَ وَالَّذينَ أَشرَكوا وَلَتَجِدَنَّ أَقرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ قالوا إِنّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنهُم قِسّيسينَ وَرُهبانًا وَأَنَّهُم لا يَستَكبِرونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وكيف أن النصارى كانوا أقرب مودة للمؤمنين وربما إسلام لما في قلوبهم من التواضع وعدم الكبر، فمن رام الانتفاع بهذا القرآن فليقبل بمهجته قبل جوارحه لربه، يرجو هذه الرحمة المعطاة. ﴿أَوَلَم يَكفِهِم أَنّا أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم إِنَّ في ذلِكَ لَرَحمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] فنزوله رحمة وذكرى ولكن للقوم المؤمنين، وقد سماه الله رحمة، فقال سبحانه: ﴿وَقالوا لَولا نُزِّلَ هذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ عَظيمٍ﴾، فرد على اعتراضهم: ﴿أَهُم يَقسِمونَ رَحمَتَ رَبِّكَ نَحنُ قَسَمنا بَينَهُم مَعيشَتَهُم فِي الحَياةِ الدُّنيا وَرَفَعنا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم بَعضًا سُخرِيًّا وَرَحمَتُ رَبِّكَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعونَ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢]، فسماه الله رحمة، فتأمل!

إذن ليكن حظ المؤمن الصادق الانتفاع به والإتباع فهو والله الرحمة والنور والهدى والذكرى والشفاء ﴿وَالَّذينَ إِذا ذُكِّروا بِآياتِ رَبِّهِم لَم يَخِرّوا عَلَيها صُمًّا وَعُميانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]. اللهم اجعل القران ربيع قلوبنا!

وسائل الانتفاع بالقرآن:

وللانتفاع بالقران وسائل عديدة، وذلك بعد أن يهيئ العبد نفسه لهذا الخطاب العظيم، ومن ذلك:

(١) التدبر والفهم، وهو غاية هذه الرسالة:

قال الله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلبابِ﴾ [ص: ٢٩]، فهو مبارك ومن بركته أنه يهدي النفوس ويحيي القلوب إذا وعته، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل القرآن في كل عام مرة حتى توفاه الله وعارضه قبل وفاته مرتين وكان ذلك في رمضان، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أجودُ الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ، حين يلقاه جبريلُ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان جبريلُ يلقاه في كلِّ ليلة من رمضانَ فيدارِسُه القرآنَ، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المرسلة. وروى أبو هريرةَ وفاطمةَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أن جبريلَ كان يُعارِضُه القرآنَ" رواه البخاري.

فتأمل عظم هذا التأثير في رسول الله حتى كان جوده أعظم من الغيث بعد تدارس القرآن، وتأمل أنهم كانوا يجعلون ذلك ليلاً لما في ذلك من السكينة التي تبعث على الاستيعاب والتدبر وثمة حكم أخرى.

وانظر كيف أثنى الله على الذين يفقهون ويعقلون القرآن ﴿وَتِلكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعقِلُها إِلَّا العالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وفي المقابل تجد أناسا لهم قلوب لا يفقهون بها كالأنعام بل أضل سبيلا، كالحجارة بل الحجارة تتفجر منها الأنهار، قلوب لا تخشع ولا تتدبر ولا تفقه ﴿لَو أَنزَلنا هذَا القُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِن خَشيَةِ اللَّهِ وَتِلكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فهذا القرآن عظيمٌ بعظم قائله، وهو يهيمن على النفوس والخلائق، فإذا لم تستوعبه بعض القلوب فهو الران الذي غطى مسامع القلوب. فالتدبر وورد التدبر لا يقل أهمية عن غيره فهو زاد حقيقي وخير محرك مذكر ملهم للإنسان، فلا عبرة بحفظ أو تلاوة دون فهم ووعي ﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أَسفارًا بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ﴾ [الجمعة: ٥]، وهذا تشبيه بليغ في كل من ادعى صلة بأي كتاب دون معرفة محتواه.

(٢) التلاوة:

لمضاعفة الأجر وازدياد الإيمان ﴿ وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرتيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، لا أقول ألم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ" رواه الألباني في صحيح الترغيب. وعن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآنَ مثلُ الأترُجَّة. ريحُها طيِّبٌ وطعمُها طيِّبٌ. ومثلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ مثلُ التَّمرة. لا ريحَ لها وطعمُها حلوٌ. ومثلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآنَ مثلُ الرَّيحانة. ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ. ومثلُ المنافقِ الذي لا يقرأ القرآنَ كمثلِ الحنْظلَة. ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ". متفق عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٣) الحفظ:

ندب الله للحفظ بقوله سبحانه: ﴿بَل هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدورِ الَّذينَ أوتُوا العِلمَ وَما يَجحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظّالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وتأمل "في صُدورِ الَّذينَ أوتُوا العِلمَ" وكأن طالب العلم الذي لا يحفظ القرآن قد خالف أصلا معتبر ، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأْ وارقَ ورتِّلْ كما كنتَ ترتلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتَك عندَ آخرِ آيةٍ تقرأُ بها" رواه الترمذي، وصاحب القرآن يُلبس والديه تاج الوقار، وقد حمل النبوّة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه، وهو مقدم على الناس في الحياة وفي الممات، ففي المحراب يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وفي الممات إن كانوا اثنين أو جماعة فأقربهم للإمام وفي القبر أسبقهم نزولاً أحفظهم. فما أطيب حافظ القرآن حي وميت .

(٤) القيام به في الصلاة ليلاً:

ما أعظم الليل وأهله إن هم سروا بالقرآن فلم يهجعوا إلا قليلاً وباتوا سجد ركع ، وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحمودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال الله: ﴿يا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيلَ إِلّا قَليلًا﴾ [المزمل: ١-٢]، وفي آخر السورة

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أَنَّكَ تَقومُ أَدنى مِن ثُلُثَيِ اللَّيلِ وَنِصفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَن لَن تُحصوهُ فَتابَ عَلَيكُم فَاقرَءوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ عَلِمَ أَن سَيَكونُ مِنكُم مَرضى وَآخَرونَ يَضرِبونَ في الأَرضِ يَبتَغونَ مِن فَضلِ اللَّهِ وَآخَرونَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَاقرَءوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقرِضُوا اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا وَما تُقَدِّموا لِأَنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيرًا وَأَعظَمَ أَجرًا وَاستَغفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، والعجيب لم يكن هناك أيّ إشارة إلى ترك هذا الأمر مهما كان حال العبد مسافر مريض مجاهد ، فعلى أقل الأحوال "فَاقرَءوا ما تَيَسَّرَ مِنه"، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الصِّيامُ والقرآنُ يشفَعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ يقولُ الصِّيامُ أي ربِّ منعتُهُ الطَّعامَ والشَّهواتِ بالنَّهارِ فشفِّعني فيهِ ويقولُ القرآنُ منعتُهُ النَّومَ باللَّيلِ فشفِّعني فيهِ قالَ فيشفَّعانِ" رواه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحمد وصححه أحمد شاكر.

(٥) سماعه:

ومن تأمل الصدر الأول والوحيين يتضح له عظم هذه الوسيلة، فقد قال الله: ﴿وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]،أي حتى تتم الإفادة منه وحصول الأثر المرجو يتوجب على المؤمن سماعه باستماع مرجوٌ به الترقي والانتفاع، بل بإنصات وهو أجلّ مراحل السماع وتأمل قول الله: ﴿أَوَلَم يَكفِهِم أَنّا أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم إِنَّ فى ذلِكَ لَرَحمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فقال "يُتلى عليهم" للندب لذلك الأمر لما فيه من الانتفاع، وتأمل كيف كان تأثير السماع للقرآن في المشركين ومن أسلم منهم، وحتى يومنا هذا. بل قد كان رسول الله يحب ذلك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "اقرأْ عليَّ القرآنَ. قلتُ: آقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟ قال: إني أُحبُّ أن أسمَعَه من غيري" رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

(٦) تعلمه وتعليمه:

خيرية العبد أن يلازم القرآن تَعَلُم وتعليم ، وفي الحديث الصحيح: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من علم آية من كتاب الله عز وجل كان له ثوابها ما تليت " أخرجه أبو سهل القطان في "حديثه عن شيوخه".

فكيف بمن نذر نفسه لذلك ماحيي، وكذلك من وقف ودعم كل معلم للقرآن، فمن خير الانتفاع من القرآن هو تعليمه ولاشك أن هذا بعد التعلم، وهو نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤمِنينَ إِذ بَعَثَ فيهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٧) العيش معه وبه في كل حال ومكان وزمان:

قال الله: ﴿الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلًا سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، تأمل واقعهم وهم يذكرون الله (وأعظم الذكر هو القرآن) في كل أحوالهم، لتعلم أن القرآن ليس إلا كالنفس في حياة أهل الإيمان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تجعلوا بُيُوتَكم مقابرَ فإنَّ الشيطانَ يفرُّ من البيتِ أنْ يسمعَ سورةَ البقرةِ تُقْرأُ فيه" مسند أحمد، فتأمل!

الخاتمة:

من المهم التنوع في موارد الإفادة من وسائل الانتفاع في القرآن، وأن يكون لكل منها ورد لصاحبه، ليبقى أثر القرآن على العبد بالتثبيت والانتفاع، قال سبحانه: ﴿وَقالَ الَّذينَ كَفَروا لَولا نُزِّلَ عَلَيهِ القُرآنُ جُملَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلناهُ تَرتيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وهذا رد على الذين كفروا لما تساءلوا: لم لا ينزل القرآن دفعة واحدة، ولم يُنزل على رسول الله مفرق ؟ فكان الجواب للتثبيت فهو كالداعم والغذاء والنفس والسلام للعبد.

وفي المقابل فإن القرآن يعمل عمله في نفوس الظالمين بالخسران والوبال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وتأمل قول الحق: ﴿وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي على ترسل ومهل وقد نُزل منجم لأنه أدعى للفهم والتدبر.

لذا فإن ترك هذا الورد يُعد من هجر القرآن الذي سيشكو رسول الله لربه على إثره، قال سبحانه: ﴿وَقالَ الرَّسولُ يا رَبِّ إِنَّ قَومي اتَّخَذوا هذَا القُرآنَ مَهجورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، والهجر لا يقيد بالتلاوة، فربما تدبره أو حفظه أو التحاكم إليه وغير ذلك.

عبد الله.. إذا لم تحن تلك اللحظة التي بكيت خاشعا لله عند سماع آية من كتاب الله فراجع ذلك الإيمان ﴿قُل آمِنوا بِهِ أَو لا تُؤمِنوا إِنَّ الَّذينَ أوتُوا العِلمَ مِن قَبلِهِ إِذا يُتلى عَلَيهِم يَخِرّونَ لِلأَذقانِ سُجَّدًا * وَيَقولونَ سُبحانَ رَبِّنا إِن كانَ وَعدُ رَبِّنا لَمَفعولًا * وَيَخِرّونَ لِلأَذقانِ يَبكونَ وَيَزيدُهُم خُشوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، فهذا عمل القرآن في النفوس، يورث الخشوع والبكاء ومن ثم الهداية والطمأنينة، وتأمل هذه الآيات:﴿الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وأنعم النظر في قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، هذا والله عمل القرآن في النفوس، فإذا لم يوعَظ المؤمن بالقرآن ولم يهتدي بالقرآن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا... أمين.

هذا الكتاب منشور في